قال: وبلدان الأتراك[1]: التغزغز وبلادهم أوسع بلدان الأتراك، حدّهم الصين والتبت والخرلخ والكيماك والغز والجقل[2] والبجناك والتركش وأركش وخشفاج[3] وخرخيز، وبها [١٦٧ أ] مسك. وهي من هذا الجانب [من] النهر. فأما مدينة فاراب فإن فيها مسلحة[4] للمسلمين. والأخرىٰ أتراك الخرلخية. وجميع مدائن الترك ست عشر مدينة.

وقال بعض العلماء بالترك: أجناس الترك:

الخرلخ: وهم ما يكون إلىٰ ناحية سمرقند. وهم عتاق الترك.

والبذكشية: وهم أصحاب اللحىٰ العظام.

والغز والتغزغز.

والكيماك: وهم الملوك، وهم أوغل في بلادهم وأعزهم عند جميع الترك.

والبشناكية والشرية.

والتغزغز عرب الترك، وهم أصحاب عمد يحلون ويرحلون.

والبذكشية: أصحاب بناء وقرىٰ.

قال: بعث هشام بن عبد الملك رجلاً إلىٰ ملك الترك يدعوه إلىٰ الإسلام. قال: فدخلت إليه وهو يتخذ سرجاً. فقال للترجمان: من هذا؟ قال: رسول ملك العرب. قال: غلامي؟ قال: نعم. فأمرَ بي إلىٰ بيت كثير اللحم قليل الخبز. فلما كان ذات يوم ركب في عشرة أنفس مع كل واحد منهم لواء وأمر أن أحمل فحملت

(١) تتفق أغلب المعلومات المتعلقة بالترك هنا مع ما هو موجود لدىٰ ابن خرداذبه.

(٢) في الأصل: الجقر. وارتأينا ذلك معتمدين علىٰ كتاب الكاشغري (ديوان لغات الترك الذي قال ضمن مادة جِكِلْ: (اسم لثلاث طوائف من الترك ..... ان الغزّية سمّت جميع الترك من لدن جيحون إلىٰ الصين الأعلىٰ، جكل. وذلك خطأ) (١: ٣٣٠).

(٣) صوابها خفجاخ. وقد يقال: قبجاق. أما التي قبلها فصوابها اذكش. وهم جيل من الترك (الكاشغري ١: ٨٩). ونخبة الدهر ٣٤٦.

(٤) في الأصل: مصلحة. والتصحيح من ابن خرداذبه ٣١.

علىٰ دابة. فصعد تلاً وحول التل غيضة. فلما طلعت الشمس أمر واحداً من أولئك العشرة أن ينشر لواءه ويلح[1] به. ففعل. فوافىٰ عشرة آلاف مدجّج. فقال للترجمان: قل لهذا الرسول يُعلِمُ صاحبه أن ليس في هؤلاء حجام ولا إسكاف ولا خياط. فإذا أسلموا من أين يأكلون؟

وآخر خراسان من ناحية الشاش، نوشجان الأعلىٰ. فمن نوشجان إلىٰ مدينة خاقان ملك التغزغز مسيرة ثلاثة أشهر في قرىٰ كبار وخصب وأسواق. وأهلها أتراك وفيهم مجوس يعبدون النار. وفيهم زنادقة علىٰ مذهب ماني. والملك في مدينة عظيمة كثيرة الأهل والأسواق ولها ثلاثة [١٦٧ ب] عشر باباً حديداً. وعن يسارها كيماك وأمامها الصين علىٰ ثلاثمائة فرسخ.

فأمّا ملك كيماك وأصحابه فبادية يتبعون مساقط القطر ويحلون ويرتحلون في طلب الكلأ.

وقال علي بن ربن كاتب المازيار: أحصن مدينة بُنيت علىٰ وجه الأرض، أن ملكاً من ملوك الترك أتىٰ سبخة ومستنقع ماء عادي أجاجي في طرف من أطراف سلطانه، فصرف الماء عنه ثم حفر أساساً عرضه أربعون ذراعاً. ثم أمر فرفع من قرار الحفر سوران بالآجر والكلس، عرض كل سور عشرة أذرع وبينهما فضاء عرضه عشرون ذراعاً.

فلما انتهىٰ بالسورين إلىٰ وجه الأرض، طَمَّ الفضاء الذي بينهما بالرمل، وأقبل بينهما فكلما ارتفعا جعل الرمل في وسطهما حتىٰ جعلهما خمسين ذراعاً. ثم بنىٰ في المدينة له ولرعيته من المنازل والقصور وحفر حولها خندقاً ثم جرف إليها الماء. فلم تلبث أن عادت بعد سنة أجمة عظيمة من أعظم الآجام، وأودعها أهله ونفيس أمواله فصارت أمنع مدينة بُنيت علىٰ قلل الجبال أو في قرار الأرض.

وإن ملكاً من ملوك الترك رامها ـ والترك أغلب الأمم وأشد احتيالاً علىٰ نقب المدن والحصون من المواضع البعيدة ـ فسار إليها ونزل علىٰ فراسخ منها، وأمر

(١) كذا في الأصل. ولدىٰ ياقوت (تركستان): يلبح.

نقّابيه أن ينقبوا فنقبوا حتىٰ بلغوها. فلما صاروا إلىٰ الأجمة التي حولها خرج عليهم الماء في النقب. فما زالوا يحتالون فيه وهو مرة يغلبهم ومرةً يغلبونه حتىٰ استوىٰ لهم قطعه وظنوا أنهم قد ظفروا بالمدينة. ولمّا أفضوا إلىٰ السور وأخذوا في نقبه. فلما نقبوه خرج عليهم الرمل المنهال. فكانوا لا يخرجون منه شيئاً إلاّ سال من جوانبه أضعافه. فلما رأوا ذلك علموا أن لا حيلة بهم فانصرفوا خائبين.

قالوا: والنعجة تضع في بلاد الترك عدة من السخول في البطن الواحدة. ربما وضعت سبعة وستة وخمسة. فامّا أربعة وثلاثة [١٦٨ أ]، فجميع مواشيهم علىٰ هذا.

والترك إذا أرادت أن تحلف رجلاً أتت بصنم من نحاس فتنصبه ثم تحضر قصعة فتصيّر فيها ماء ويوضع بين يدي الصنم، ثم يجعل في القصعة قطعة ذهب وكف دخن ويؤتىٰ بسراويل امرأة فيوضع تحت القصعة. ثم يقولون: استحلف ان نقضتَ هذا العهد أو غدرت أو خنت فيصيرك الله امرأة تلبس سراويلها، وسلّط عليك من يقطعك قطعاً مثل هذا الدخن، واصفر لونك مثل اصفرار الذهب. ثم يشرب بعد اليمين ذلك الماء. فعلىٰ ما يفعله إنسان منهم يحنث إلاّ مات وأصابته بلية.

وفي بلادهم السمور والفنك الجيد. وهم أرمىٰ الأمم كلّها بالنشاب.

وإذا وُلد للرجل منهم ولد، ربّاه ورعاه وعاله وقام بأمره حتىٰ يحتلم. فإذا بلغ الحلم دفع إليه قوساً وسهاماً وأخرجه عن منزله وقال له: احتل لنفسك. ثم يصير ولده عنده مثل الغريب الذي لا يعرفه. هذه سنّتهم في أولادهم.

ومنهم قوم [يبيعون][1] بنيهم وبناتهم.

وتزويجهم ان جواريهم مكشفات الشعور، فإذا أراد الرجل أن يتزوج نظر إلىٰ التي يريد وألقىٰ علىٰ رأسها مقنعة. فإذا فعل ذلك فقد صارت امرأته لا يمنعه عنها والد ولا يدفعها أخ.

(١) تكملة من ياقوت وهي لديه (يبيع) وعدّلناها لتلاءم ما بعدها.

وفي بلادهم الختو الجيد، وهو جبهة دابة تصاد في بلدهم.

وذكر تميم بن بحر المطوعي أن بلدهم شديد البرد. وإنما يسلك فيه ستة أشهر في السنة، وانه سلك إلىٰ بلاد خاقان التغزغزي علىٰ بريد أنفذه خاقان إليه، وانه كان يسير في اليوم والليلة ثلاث سكك بأشد سير وأحثّه. فسار عشرين يوماً في براري فيها عيون وكلأ وليس فيها قرية ولا مدينة غير أصحاب السكك وهم نزول في خيام. وانه كان البريد حمل معه زاداً لعشرين يوماً وذلك أنه عرف أمر تلك المدينة وان مسافتها عشرون يوماً في براري فيها عيون وكلأ. ثم سار بعد ذلك [١٦٨ ب] عشرين يوماً في قرىً متصلة وعمارات كثيرة، أهلها كلّهم أو أكثرهم أتراك. منهم عبدة النيران علىٰ مذهب المجوس، ومنهم زنادقة.

وإنه بعد هذه الأيام وصل إلىٰ مدينة الملك وذكر أنها مدينة عظيمة خصيبة حولها رساتيق عامرة وقرىً متصلة ولها اثنا عشر باباً من حديد مفرطة العظم.

قال: وهي كثيرة الأهل والزحام والأسواق والتجارات، والغالب علىٰ أهلها مذهب الزنادقة. وذكر أنه حَزَرَ ما بعدها إلىٰ بلاد الصين فميّزه ثلاثمائة فرسخ. قال: وأظنه أكثر من ذلك.

قال: وعن يمينه مدينة ملك التغزغز، بلاد الترك لا يخالطهم غيرهم. وعن يسارها بلاد كيماك وأمامها بلاد الصين.

وذكر أنه نظر قبل وصوله إلىٰ المدينة بخمسة فراسخ إلىٰ خيمة للملك من ذهب علىٰ سطح قصره تسع مائةَ رجل.. وذكر أن خاقان ملك التغزغز كان مخاتناً لملك الصين، وان ملك الصين يحمل إليه في كل سنة خمسمائة ألف فرند[1].

وذكر أن بين النوشجان الأعلىٰ وبين الشاش علىٰ طراز، أربعين مرحلة للقوافل. فمن سارها علىٰ دابة وكان منفرداً قطعها في شهر.

قال: ونوشجان الأعلىٰ بها أربع مدن كبار وأربع صغار. وانه حزر المقاتلة

(١) والفِرِنْد هو السيف.

في مدينة واحدة علىٰ شط بحيرة هناك فميّزهم نحو عشرين ألف فارس بالسلاح التام. وليس في جميع أجناس الترك أشدّ منهم، وانهم إذا اجتمعوا مع الخرلخية لحرب، كان منهم مائة رجل ومن الخرلخية ألف رجل، وعلىٰ هذا يخرجون في جميع حروبهم.

وذكر أن هذه البحيرة شبيهة بالحوض المربع، وأن حولها جبالاً شامخة فيها من جميع أصناف الشجر.

قال: وهناك رسم مدينة قديمة لم أجد في الأتراك من يعرف خبرها ولا من بناها ولا من كان أهلها ولا متىٰ خربت، وانه نظر فيها إلىٰ نهر يشقها لا يلحق غوره هناك. ورأيت فيه أنواعاً من الحيوانات البحرية ما رأيت مثلها. وكذلك رأيت به طيوراً لم أرَ في شيء من البلدان مثلها.

قال: وأهل النوشجان وغيرهم بها يقدمون منهم من المدن والقرىٰ يطوفون بها في سنة مرة واحدة في أيام الربيع ويجعلون ذلك عيداً[1].

قال: ويدخلها الماء من ناحية التبت من مائة وخمسين نهراً كباراً وصغاراً. وكذلك من ناحية التغزغز والكيماك. وذكر أنه وجد ملك التغزغز حين [ذهب][2] إليه معسكراً بالقرب من مدينته وانه حزر جيشه الذي حول سرادقه دون غيرهم فكانوا نحو من اثني عشر ألف رجل. قال: وبعد هؤلاء سبعة عشر قائداً مع كل قائد ثلاثة آلاف. قال: وبين القائد والقائد مصالح من خيام. والقواد ومن معهم من المصالح بأجمعهم محيطون بالعسكر، ولهم في إحاطتهم فرجة يكون مقدارها أربعة أبواب إلىٰ ناحية العسكر. وجميع دواب الملك ودواب الجند ترعىٰ فيما بين سرادق الملك ومواضع القوّاد لا تتخلص منها دابة إلىٰ خارج العسكر.

وسألناه عن طريق كيماك من طراز فذكر أن الطريق مسيرة طراز إلىٰ قريتين في موضع يقابل له كواكب عامرتين اهليتين ومسافتهما من طراز سبعة فراسخ.

(١) في الأصل: عمداً.

(٢) تكملة يقتضيها السياق.

ومن هذا الموضع ملكِ كيماك مسيرة ثمانين يوماً للفارس المجدّ يحمل معه زاده. وان جميع ذلك صحارىٰ وبراري ومفاوز واسعة كثيرة الكلأ والعيون. وفيه مراعي الكيماكية. وذكر انه سلك وحده هذه الطريق ووجد ملك كيماك مع عسكره في خيام وبقربه قرىٰ وعمارات وانه ينتقل من موضع إلىٰ موضع يتبع الكلأ. وان دوابهم كثيرة دقيقة الحوافر. وحزر من في عسكره فوجدهم نحو عشرين ألف فارس.

وذكر أبو الفضل الواشجردي أن ملك التغزغز غزا ملك الصين مرتين في أيام الرشيد. وقيل ذلك في أيام المهدي [١٦٩ ب] وكانت غزوته ما بين سروشنة إلىٰ سمرقند. وان عامل سمرقند حاربه في عدة وقائع وكانت لهم حروب شديدة. ثم إن صاحب سمرقند رُزق النصر عليه فهزمه وقتل خلقاً من أصحابه. ويقال إنه كان في ستمائة ألف بين فارس وراجل من أهل الصين. فغنم المسلمون غنيمة عظيمة وأسروا خلقاً، فأولادهم الذين بسمرقند يعملون الكاغذ الجيد وأنواع السلاح والآلات التي لا تعمل بمدن خراسان إلاّ بسمرقند.

ومن عجائب بلد الترك حصىً عندهم يستمطرون [به][1] ما شاؤا من مطر وثلج وبرد وغير ذلك. وأمر هذا الحصىٰ عندهم مشهور مستفيض لا ينكره أحد من الأتراك. وهو عند ملك التغزغز خاصة ليس يوجد عند أحد من ملوكهم غيره.

وحدثني أبو عبد الله الحسين بن استاذويه. حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن. حدثنا هشام بن لهراسب السائب الكلبي عن أبي مليح عن ابن عباس قال: لم يتزوج إبراهيم عليه السلام علىٰ سارة حتىٰ ماتت فتزوج امرأة من العرب العاربة يقال لها قنطورا بنت مقطور فولدت له مدين ومداين وهو مدين ونيسان واشتق وسرج. فأمر إبراهيم عليه السلام أن يضمّ إليه من ولد إسماعيل وإسحاق ومدين ونيسان ويخرج عنه مدين واشتق وسرج. فقالوا له: يا أبانا كيف تستجيز أن تترك عندك إسماعيل وإسحاق ومدين ونيسان في الأمن والدعة وتخرجنا نحن عنك إلىٰ

(١) تكملة من ياقوت.

الغربة والوحشة والوحدة؟ فقال: بذلك أُمرت ولكني سأعلمكم اسماً من أسماء الله تعالىٰ لتستنصروا به علىٰ أعدائكم وتستنزلوا[1] به الغيث إذا أجدبتم. فعلّمهم إياه وخرجوا سائرين حتىٰ نزلوا موضع خراسان فتناسلوا هناك وقهروا بذلك الاسم جميعَ من ناوأهم. فاتصل خبرهم بالخزر ـ وهم من ولد يافث بن نوح ـ فصاروا إليهم وحالفوهم وتزوجوا إليهم وأقام بعضهم عندهم وانصرف الباقون إلىٰ بلدهم [١٧٠ أ].

وحدث أبو العباس عيسىٰ بن محمد بن عيسىٰ المروزي[2] فقال: لم نزل نسمع في الثغور الخراسانية التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفرة الغزية والتغزغزية والخرلخية وفيهم المملكة ولهم في أنفسهم شأن عظيم ونكاية في الأعداء شديدة، ان من الترك من يستمطر في أسفاره وغيرها فيمطر ويحدث ما يشاء من مطر وَبَرَد وثلج ونحو ذلك. فكنا بين منكر ومصدق حتىٰ رأيت داود بن منصور بن أبي علي الباذغيسي ـ وكان رجلاً صالحاً قد تولىٰ خراسان فحمد أمره ـ وقد خلا بابن ملك الترك الغزية وكان يقال له بالقيق بن خَيْويه فقال له: يبلغنا عن الترك أنهم يجلبون المطر والبَرَد والثلج متىٰ شاؤا فما عندك في ذلك؟ فقال: الترك أذلّ وأحقر عند الله من أن يستطيعوا هذا الأمر. والذي بلغك فهو حق ولكن له خبر أحدثك به. كان بعض أجدادي راغم أباه. ـ وكان الملك في ذلك العصر ـ وشذّ عنه واتخذ لنفسه أصحاباً من مواليه وغلمانه وغيرهم ممن يحب الصعلكة ومضىٰ سائراً في شرق البلاد يغير علىٰ الناس ويصيد ما يظهر له ولأصحابه. فانتهىٰ به المسير إلىٰ بلد ذكر أهله أنه لا منفذ لأحد وراء جبل لهم. فقال لهم: وكيف ذلك؟ قالوا: لأن الشمس تطلع من وراء هذا الجبل وهي قريبة من الأرض جداً فلا تقع علىٰ شيء إلاّ أحرقته. قال: أفليس هناك ساكن ولا وحش؟ قالوا: بلىٰ. قال: فكيف يتهيأ لهم المقام علىٰ ما ذكرتم؟ قالوا: أما الناس فلهم أسراب تحت الأرض وغيران في الجبال، فإذا طلعت الشمس بادروا

(١) في الأصل: لتستنصرون وتستنزلون.
(٢) راجع مقدمة الكتاب فقد ترجمنا له بتفصيل.

إليها فاستكنّوا فيها حتىٰ ترتفع الشمس عنهم. وأما الوحش فإنها تلقط حصىً هناك قد أُلهمت معرفته، فتأخذ كل وحشية حصاة من ذلك الحصىٰ بفيها وترفع رأسها إلىٰ السماء فتظلها عند ذاك غمامة تحجب بينها وبين الشمس.

قال: فقصد جدي تلك الناحية فوجد الأمر علىٰ ما بلغه. قال: فلما بدأت الشمس في الطلوع بادرت الوحوش إلىٰ ذلك الحصىٰ فجعلته في أفواهها [١٧٠ ب] ورفعت رؤوسها إلىٰ السماء فأظلتها الغمائم. قال: فحمل هو وأصحابه عليها يكدونها، فلما أدركها اللغوب ألقت ذلك الحصىٰ من أفواهها، فأمر أصحابه بلقطه ليعرفه. ففعلوا وجاؤا به فعرفه وتتبعه هو وأصحابه في تلك البرية فأخذوه وشالوه حيال الشمس فأظلهم الغمام ونجوا من وقع الشمس وحرها.

ثم جمعوا منه ما قدروا عليه وحملوه إلىٰ بلادهم. فهم إذا سافروا وأرادوا المطر [حركوا منه شيئاً يسيراً فينشأ الغيم فيوافي المطر][1] وان هم أرادوا الثلج والبَرَد زادوا فيه فيوافي الثلج والبرد.

ويقال إنهم إذا أومأوا إلىٰ جهة من الجهات، مطرت تلك الجهة وأبردت. فهذه قصتهم وليس هذه من حيلتهم ولا قدرتهم ولكنها من قدرة الله تعالىٰ.

قال أبو العباس: ثم وردتُ مدينة الشاش واجتمع إليّ قوم من أهلها لهم افهام ومعرفة وعلم بأحوال الترك فسألتهم فقالوا عندنا من جملة الأمر ما عندك.

فأما التفسير الذي ذكر بالقيق فهو أعرف به إذْ كان يخرج الحديث عن آبائه.

فقال: ولقيت هناك شيخاً من الكُتاب القدماء يقال له حبيب بن عيسىٰ وكان قد اجتمع اخبار وقائع نوح بن أسد وحروبه مع الترك، وفهم أمور ذلك الصقع، فأخرج إليّ نسخة كتاب من عبد الله بن طاهر إلىٰ نوح بن أسد، وفي آخره[2] نسخة كتاب المأمون إليه يأمره بالمسألة والبحث عما يتكلم به الترك في الاستمطار. قال

(١) تكملة من ياقوت (تركستان).
(٢) في الأصل: آخر.

حبيب: فجمع نوح مشايخ البلد ومسلمي الترك فسألهم عن الأمر فلم يختلفوا في أنه حق إلاّ أنهم لم يعرفوا العلة فيه.

قال أبو العباس: فسمعت إسماعيل بن أحمد أميرَ خراسان يقول: غزوت الترك في بعض السنين في نحو عشرين ألف رجل من المسلمين فخرج إليّ منهم نحو ستين ألفاً في السلاح الشاك فواقعتهم أياماً. فإني يوماً في قتالهم إذ اجتمع إليّ خلق من غلمان الأتراك وغيرهم من الأتراك المستأمنة فقالوا لي: إن لنا في عسكر الكفرة قرابات وإخوان قد أنذرونا وخوفونا بموافاة [١٧١ أ] فلان ـ قال: وكان هذا الذي ذكروا عندهم كالكاهن وكانوا يزعمون أنه ينشىء سحاب البَرَد والثلج وغير ذلك فيقصد بها من يريد إهلاكهم ـ وقالوا: قد عزم أن يمطر عسكرنا بَرَداً عظاماً لا تصيب البردة إنساناً إلاّ قتلته. فانتهرتهم وقلت لهم: ما خرج الكفر من قلوبكم بعد، وهل يستطيع هذا أحدٌ من البشر؟ قالوا: قد أنذرناك وأنت أعلم والموعد غداة [غد][1] عند ارتفاع النهار.

قال: فلما كان من الغد وارتفع النهار نشأت سحابة عظيمة هائلة من رأس جبل كنت مستنداً بعسكري إليه. ثم لم تزل تنتشر ويزيد أمرها حتىٰ أظلت عسكري كله. فهالني سوادها ومما رأيت منها وما سمعت فيها من الأصوات الهائلة، وعلمت أنها فتنة فنزلت عن دابتي وصليت ركعتين وأهل العسكر يموجُ بعضهم في بعض لا يشكّون في البلاء. فدعوت الله عزّ وجلّ وعفّرت وجهي في التراب وقلت: اللهم أغثنا إن عبادك يضعفون عن محنتك، وأنا أعلم أن القدرة لك وانه لا يملك الضر والنفع إلاّ أنت، إن هذه السحابة إن مطرت علينا كانت فتنة للمسلمين وسطوة للمشركين. فاصرف عنا شرها بحولك وقوتك ياذا الحول والقوة.

قال: فأكثرت [الدعاء][2] ووجهي في التراب رغبة ورهبة إلىٰ الله وعلماً أنه لا يأتي الخير إلاّ من عنده ولا يصرف السوء غيره. فبينا أنا كذلك إذ تبادر إليّ

(١) تكملة يقتضيها السياق.
(٢) تكملة من ياقوت.

الغلمان وغيرهم من الجند يبشرون بالسلامة وأخذوا بعضدي ينهضوني من سجدتي ويقولون: انظر، انظر أيها الأمير. فرفعت رأسي وإذا السحابة قد زالت عن عسكري وقصدتْ عسكر الترك تمطر عليهم برداً عظاماً. وإذا هم يموجون وقد نفرت دوابهم وتقلعت خيمهم وما تقع بردة علىٰ واحد منهم إلاّ أوهنته أو قتلته. فقال أصحابي: نحمل عليهم. فقلت: لا، لأن عذاب الله أدهىٰ وأمر، فلم يفلت منهم إلاّ القليل وتركوا عسكرهم بجميع ما فيه وهربوا. فلما كان من الغد جئنا [١٧١ ب] إلىٰ عسكرهم فوجدنا فيه من الغنائم ما لا يوصف. فحملنا جميع ذلك وحمدنا الله علىٰ السلامة وعلمنا أنه هو الذي سهّل لنا ذلك وملكنا إياه والحمد لله رب العالمين.

ذكر بعض مدن الأتراك وعجائبها

قال سعيد بن الحسن السمرقندي: منهم بادية يحلون ويرتحلون وينتجعون الغيث ويتبعون الكلأ كما تفعل البوادي في بلد الإسلام. وهم لا يدينون لملك ولا يعطون طاعة لأحد. يغير بعضهم علىٰ بعض فيسبون الحرم والذراري وربما فارق القوم منهم الحيّ الذي كانوا فيه وصاروا إلىٰ حي آخر ومعهم من حرم أهل ذلك الحي الذين قد صاروا إليه وأولادهم قد استعبدوهم فلا يطالبونهم بهم، وهم ينظرون إليهم عبيداً لهم سنّة فيهم وشيء قد اصطلحوا عليه.

ولهم مدن كثيرة في بعضها تجار وأموال وفي جميعها أسواق.

فمنها مدينة التغزغز وهي أكبر مدائنهم وأحصنها ولها سور عظيم مبني بالصخر وله خندق دائر به، فيه ماء غزير، وأهلها لهم شدة وإقدام في الحرب وأكثر سلاحهم السيوف.

ومن مدنهم أيضاً مدينة يقال لها حيوس[1] تقرب من الشاش وهي كبيرة أيضاً وأهلها بغير دين وهم شرار خلق الله يغير بعضهم علىٰ بعض ويقتل أقدرُهم

(١) كذا في الأصل. ونقترح انها إما أن تكون جبغوكث التي هي من مدن الشاش ومعسكرها القديم (حدود العالم ١١٥) أو جبوزن وهي من مدن الشاش أيضاً (مسالك وممالك ٢٦٠).

ضعيفَهم ولا يأمن الأخ أخاه ولا الوالد أبناءه. يأكلون جميع الحيوانات. الزنىٰ فيهم ظاهر، يدخل الواحد منهم إلىٰ منزل الآخر فيفترش حرمته وهو ينظر إليه لا يمتعض من ذلك ولا ينكره. وليست لهم شجاعة وفيهم جمال وأكثر رجالهم مؤنثون ويشربون الدم. وفي وسط مدينتهم بحيرة غزيرة الماء إذا مات الواحد منهم أُلقي فيها.

ومن مدنهم أيضاً مدينة يقال لها دي[1]، لا يقول أهلها بالحرب بل يؤدون الاتاوة إلىٰ كل من غلبت يده عليهم وينكحون كل ما لحقوه من امرأة أو غلام أو حيوان [١٧٢ أ].

ومن مدنهم مدينة يقال لها سور[2] يقاتل أهلها أهل الشاش وأهل سمرقند، ولهم بأس شديد ونكاية عظيمة ولهم أوصاف يعرفون بها في الحرب ولا تكاد تخطىء. وفي رجالهم جمال وفي نسائهم قبح. وهم ينكرون الزنىٰ ويقتلون من يفعله من الذكر والأنثىٰ. ولهم نبيذ يتخذونه من عقاقير يعرفونها، يسكر الرطل الواحد بالبغدادي منه سكراً مفرطاً.

(١) لم نهتد إليها فيما بين أيدينا من مصادر. إلاّ أن أوصاف أهلها تنطبق علىٰ قبيلة الجكل التركية. قال مسعر بن مهلهل في رحلته (الورقة ١٧٦ أ من مخطوطة المكتبة الرضوية بمشهد ـ وقد نقله عنه ياقوت أيضاً ٣: ٤٤٦ في جملة ما ذكر من أوصافهم: «يتزوج الرجل بابنته وبأخته وسائر محارمه ..... وفيهم دعة ولا يرون الشر. وجميع من حولهم من قبائل الترك تتخطفهم وتطمع فيهم».
وقيل عنهم في حدود العالم ٨٤ «لهم الطباع الطيبة وحسن المعاشرة وهم عطوفون». وانظر أيضاً: آثار البلاد ٥٨٢ ففيه معلومات إضافية.
إذن، فهم يشتركون مع من ذكرهم ابن الفقيه أعلاه بصفتي: الإباحية الجنسية وحب الموادعة والسلام.

(٢) هي مدينة سوار تقع إلىٰ الشرق من بلغار. قال أبو الفداء «بلغار هي بلدة في نهاية العمارة الشمالية وهي قريبة من شط اتل من البرّ الشمالي الشرقي، وهي وسراي في برّ واحد وبينهما فوق عشرين مرحلة» تلفيق الأخبار ١: ٢٦٣ وسوار هي سخسين (الكاشغري ١: ٣٦٥). وانظر حدود العالم ١٩٥ حيث وردت باسم شوار.

ومن مدنهم مدينة يقال لها جريسم[1] أكثر غارة أهلها علىٰ المدينة التي يقال لها سور، وإذا أسروا من أهلها إنساناً قطعوه وطبخوه وأكلوه وهم همج لا يكاد بعضهم يفقه قولاً ولا يعرف شيئاً. وإذا خلا القوي منهم بالضعيف نكحه ولهم أيضاً بأس شديد.

ومن مدنهم أيضاً مدينة يقال لها اغرس[2] أهلها قد خالفوا جميع الأتراك باعتدال الطبع وسلامة الناحية. يأكلون لحم أكثر الحيوان بعد الذبح ويعبدون أوثاناً لهم. وفيهم علماء بمذهبهم، ولا يرون الزنىٰ ويجتنبون الفواحش، ولهم بيت عبادة مفرط الطول والعرض والارتفاع يزعمون أنه نزل من السماء علىٰ هيئته التي هو عليها. ويقولون: إنما نعبد الأوثان لتقربنا إلىٰ الله وتشفع لنا عنده لأنها بغير ذنوب. ولهم ملك منهم.

ومن مدنهم مدينة يقال لها كرشيم[3] يأكل أهلها كلما دبَّ علىٰ وجه الأرض بغير تذكية ولهم إقدام وصولة. وهم عراة كالبهائم يلقىٰ الرجلُ المرأةَ في الطريق فيجامعها والناس ينظرون إليه. وهم أصحاب بيات وأكثر قتالهم بالنشاب المسموم ولا يعطون طاعة لأحد.

ومن مدنهم مدينة يقال لها دكس[4]، لأهلها بأس شديد وصبر علىٰ القتل. وبعضهم شديد الحب لبعض وغنيهم يعود علىٰ فقيرهم. ولهم يسار ظاهر من المواشي والخيل وغير ذلك. ومنهم تجار يخرجون إلىٰ بلد الإسلام. ولهم وفاء

(١) لم نهتد إليها فيما بين أيدينا من مصادر.
(٢) في حدود العالم ٧٨ «إغراج أُرت: مكان لا يخلو من الثلج إطلاقاً». وقد أوردها ضمن المدن التي هي في نواحي التغزغز. وهي إغراق لدىٰ الكاشغري (١: ٢٧).
(٣) لم نهتد إليها.
(٤) هي مدينة اذكشية التي ذكرها ابن سعيد الذي قال ص ١٩٦ «يسكنها قوم من الاذكش وهم قوم من الترك تبصروا بالمجاورة».
قلت: الصواب: تنصّروا أي اعتنقوا النصرانية. ويبدو أنه خطأ طباعي. وعن اذكش انظر الكاشغري (١: ٨٩).